Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Romans

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل رومية

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الرسالة إلى أهل رومية

الاصحاح الخامس: الضيقات في حياة أبناء الله

- شرح القديس بولس في الاصحاحات السابقة أن إبراهيم هو أب لليهود والأمم أجمعين.
- وفي هذا الاصحاح يشرح كيف أن إبراهيم هو ابن آدم الذي أخطأ واحتاج إلي نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية، أي آدم الثاني – السيد المسيح، الذي بدمه والايمان به يبرر آدم وكل بنيه من اليهود والأمم.
- فلا ننسي أنه قبل مجيء السيد المسيح كان إبراهيم في الجحيم ولذلك قال:

"أبوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح" (يوحنا 8: 56)

- أما بعد مجيء السيد المسيح فصعد إبراهيم إلي الفردوس ومعه الأبرار الذين رقدوا علي رجاء القيامة وأيضاً اللص اليمين.

الرسالة إلى أهل رومية

"فإذ قد تبرّرنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" [1]

- الذي يتبرر بالإيمان بربنا يسوع المسيح يهبه الله سلاماً داخلياً يجعله يتغير تغييراً كاملاً ملآن بالحب والصداقة والمصالحة مع الله والناس.

- تصالحنا مع الله هو أول ثمر تبررنا "بربنا يسوع المسيح"، إذ نقترب إليه ونُحسب أبراراً فيه، ونحيا كأبناء في سلام حقيقي مع الآب، كما يقول القديس بطرس:

"فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البارّ من أجل الأثمة، لكي يقرّبنا إلى الله" (1 بطرس 3: 18)

الرسالة إلى أهل رومية

- وقوله "لنا سلام"، يعنى ليتنا لا نخطئ بعد ولا نعود مرة أخري إلى حالنا القديم فنفقد برنا ونخسر مصالحتنا مع الله.

- ولكي لا نعود مرة أخري إلي عبودية الشيطان والخطية، يجب علينا أن نلتصق بالسيد المسيح الذي وهبنا النصرة علي الشيطان وصالحنا مع الآب.

- التصاقنا بربنا يسوع المسيح يجعلنا نعيش في فرح وهدوء وسلام:

"افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا. ليكن حلمكم معروفاً عند جميع الناس. الرب قريب. لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر. لتعلم طلباتكم لدى الله. وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع" (فيلبي 4: 4 - 7)

الرسالة إلى أهل رومية

"الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله" [2]

- لم يعد الزمن يمثل رعباً بالنسبة لنا، فالماضي بالنسبة للكثيرين مفقود والحاضر مؤلم والمستقبل مجهول.

- أمّا وقد **دخلنا بالإيمان إلى النعمة الإلهية**، فقد صار الماضي بركة لنا، إذ نرى أحداث الفداء التي عبرت كتاريخ لا تزال حيّة وفعالة في أعماقنا وتصرّفاتنا، وصار الحاضر بالنسبة لَنا مفرحاً إذ نسلك بالنعمة الإلهية **"التي نحن فيها مقيمون"** متمتّعين بالسلام مع الله، أمّا المستقبل فمكشوف إذ نعيش على **"رجاء مجد الله"**.

- هكذا لم يعد الزمن بالنسبة لنا مرعباً ولا مفقوداً، الماضي حاضر بالنسبة لنا، والحاضر عربون المستقبل، والمستقبل حال خلال عربون الحاضر.

الرسالة إلى أهل رومية

- يُقول القدّيس يوحنا الذهبي الفم: اسمحوا لي أن أسألكم أن تتأمّلوا كيف يؤكّد بولس الرسول في كل موضع نقطتين: جانب الله وجانبنا، فمن جانب الله، كيفما كان، توجد أمور كثيرة، عديدة ومتنوّعة، إذ مات من أجلنا وصالحنا وجبَلنا إليه ووهبَنا نعمة لا ينطق بها.

- أمّا نحن فمن جانبنا نقدم إيماناً (حياً) فقط، لذلك يقول: **"بالإيمان إلى هذه النعمة"**. اخبرني: أيّة نعمة هذه؟ أنك حُسبتَ أهلاً لمعرفة الله، وانتزعت عن الخطأ وتعرفّتَ على الحق ونلتَ كل بركات المعموديّة؟ لأن غاية إحضارنا إليه هو تقبُّل هذه العطايا.

الرسالة إلى أهل رومية

- فإننا لم ننل غفران الخطايا فحسب لنكون مُصالحين، وإنما ننال بركات لا حصر لها... فبإشارته للنعمة أوضح ما نلناه حالياً، وبقوله: "ونفتخر (نبتهج) على رجاء مجد الله"، يكشف عن كل الأمور العتيدة.
- ربّما يتساءل البعض: إن كان الإيمان بالرب يسوع يدخل بنا إليه لنحمل برّه فينا فننعم بالسلام مع الله، وإذ نقيم في هذه النعمة ينفتح قلبنا على رجاء المجد الإلهي، فما هو عمل هذا البرّ في حياتنا وسط الضيقات التي لا تنقطع؟
- يجيب القديس بولس فيقول:

الرسالة إلى أهل رومية

"وليس ذلك فقط بل نفتخر (نتمجد) أيضاً في الضيقات، عالمين أن الضيق ينشئ صبراً. والصبر تزكية، والتزكية رجاء" [3 - 4]

- إذاً الإجابة هي: السيد المسيح ببرّه الذي يهبه لنا لا ينزع عنّا الضيقات، بل يرفعنا فوق الضيقات، فنجتازها أو تعبر هي بنا، ونحن في اعتزاز نراها سرّ تزكيتنا أكثر فأكثر، فلا يتحطم رجاؤنا باليأس، بل بالعكس يلتهب رجاؤنا في المجد، لأن خلاص صبرنا وتزكيتنا هو في الضيقات.
- أي إن عمل السيد المسيح لا يمس المجد الأبدي فحسب وإنما يمس حياتنا اليومية، لا بتغيير الظروف المحيطة بنا لننعم بسلام زمني، وإنما بتغيير القلب الداخلي والفكر، فنسمو فوق الآلام.

الرسالة إلى أهل رومية

- إذاً فإننا نري الآلام طريق للشرّكة مع السيد المسيح المتألم، وسبيل للتمتّع بالتزكية خلال الصبر.
- وكما يقول الكتاب:
"لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح" (1 بطرس 1: 7)
"طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكي ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه" (يعقوب 1: 12)
"فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه" (رومية 8: 17)

الرسالة إلى أهل رومية

"والرجاء لا يخزى لأن محبّة الله قد انسكبت (فاضت) في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" [5]
- إن كان السيد المسيح يُعلن برّه فينا برفعنا فوق الآلام وجعلها مصدر مجد حتى في هذا الزمان الحاضر، لنحتمل الضيقات بصبر على رجاء المجد الأبدي، فإنه من جانب آخر يهبنا بروحه القدوس "محبة الله" منسكبة في قلوبنا لكي تسندنا فلا يخزى رجاؤنا.
- أي أن صبرنا في التجارب واحتمالنا للألم لا يقف عند قوّة عزيمتنا أو إمكانيّاتنا البشريّة، إنما على عمل الله فينا، إذ يسكب حُبّه بفيض على المجاهدين روحياً لأجل اسمه وبقوّة نعمته.
- إذاً سرّ القوّة في الضيق، وانفتاح الرجاء في قلوبنا هو عطيّة الروح القدس الساكن فينا، إذ يهبنا محبّة الله غير المتغيّرة بفيض وكأنها تُعطى بلا حساب كمن تنسكب من السماء لتملأ القلب.

الرسالة إلى أهل رومية

- هذه العطيّة (الروح القدس) هي العظمى، فإنه لم يهبنا السماء ولا الأرض ولا البحر، إنما ما هو أثمن من هذا كله، جعلنا نحن البشر ملائكة، نعم بل أبناء الله وأحباء لمن فدانا.
- لو لم يكن يريد أن يقدّم لنا أكاليل عظيمة على جهادنا لما وهبنا مثل هذه العطية القادرة أن تسندنا في جهادنا. هنا يُعلن دفء محبته التي يكرمنا بها لا تدريجياً ولا شيئاً فشيئاً، وإنما يسكبها بفيض بكونها ينبوع بركاته.
- هكذا وإن كنت لست مستحقاً بالمرة، لكنه لم يزدرِ بكَ، بل وهبكَ حب عظيم قادر أن يسندك، لهذا يقول: "والرجاء لا يخزي"، ناسباً كل شيء لمحبّة الله وليس لأعمالنا الذاتية الصالحة.

الرسالة إلى أهل رومية

"لأن المسيح إذ كنّا بعد ضعفاء مات في الوقت المعيّن لأجل الفُجّار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار، ربّما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت، فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب. لأنه إن كنّا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولي كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته" [6 - 10]

- هذا هو ما يعلنه الروح القدس فينا إذ سكب (أفاض) محبّة الله الفائقة في قلوبنا لمصالحتنا خلال موت ابنه وسفك دمه الذكي الطاهر علي الصليب.

الرسالة إلى أهل رومية

ـ هذه المحبّة التي يسكبها الروح فينا ليست بجديدة بالنسبة لله، فهي في تدبيره الأزلي، لكنه حقّقها في الوقت المناسب لخلاصنا، أو **"في الوقت المعيّن"**، أو في "ملء الزمان".

"ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبنّي" (غلاطية 4: 4 - 5)

ـ قدّم الله هذا الحب من أجلنا، وقد دعانا **"ضعفاء"**، **"الفُجّار"**، فمن جهة كنّا ضعفاء مغلوبين بالخطيّة ساقطين تحت سلطان عبوديّتها. وفي نفس الوقت دعانا "فُجّارا" إذ لم نستسلم لها عن ضعف فحسب وإنما التهبت فينا، فصرنا نمارسها بعنف بكمال حريتنا، عن معرفة أيضاً وفي تهوّر.

الرسالة إلى أهل رومية

ـ لا يقف الأمر عند اليقين بنوال الأمجاد الأبدية، إنما يقول:

"وليس ذلك فقط بل نفتخر (نفرح) أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة" [11]

ـ وهذا يعنى أننا ليس فقط ننعم ببركات الخلاص هنا ونترجى الأمجاد الأبدية، إنما يصير الله نفسه مجدنا وفخرنا وفرحنا.

ـ الله يتعامل معنا كصديق مع أصدقائه، وحبيب مع أحباءه، فنفرح به ونرجو شخصه ونلتمس ملكوته.

ـ فيجب علينا إذاً ألا نكون قساة ولا ظالمين ولا مدينين للأخرين بل نحزن مع الحزانى، ونبكي مع الباكين، ونرفعهم قدر ما نستطيع خلال مساعدة وتعزية حبنا لهم، ونقودهم إلي التوبة مع الاحترام الكامل لحرية ارادتهم.

الرسالة إلى أهل رومية

"من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع. فإنه حتى الناموس كانت الخطية في العالم، على أن الخطية لا تحسب، إن لم يكن ناموس. لكن قد ملك الموت من آدم إلي موسى، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم الذي هو مثال الآتي" [12 - 14]

- هنا يشرح كيف بإنسان واحد دخل الموت إلي العالم وتسلط علي البشرية لكي يبرز بعد ذلك قوة تبريرنا بالسيد المسيح غالب الموت.
- صارت الخطية منتشرة في الطبيعة البشرية لكنها غير مُكتشفة حتى جاء الناموس، لأن "الخطية لا تُحسب إن لم يكن ناموس".

الرسالة إلى أهل رومية

- ويشرح أيضاً أنه بالخطية "ملك الموت من آدم إلي موسى"، أما وقد جاء الناموس في العصر الموسوي، فأُعلنت الخطية وظهر الموت أنه ليس مُلكاً حقيقياً، إنما هو حكم ثقيل على الإنسان.
- لذلك فعبارة "آدم الذي هو مثال الآتي" تعني أنه كما بواحدٍ صار الحكم علي الكل، بواحدٍ أيضاً صار البرّ لكل المؤمنين.
- فكما سقط الكل تحت الموت مع أنهم لم يأكلوا مع آدم من الشجرة، هكذا قُدم الخلاص للعالم دون فضل من جانبهم، إنما يرجع الفضل لبرّ السيد المسيح الذي يهبه خلال الموت علي الصليب.
- من آدم إلي موسى ملك الموت، لكن حضور الله الكلمة أبطل الموت (2 تيموثاؤس 1: 10). لم يعد بعد في آدم يموت الجميع (1 كورنثوس 15: 22)، إنما في آدم الثاني، الرب يسوع يحيا الجميع.

الرسالة إلى أهل رومية

"ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة، لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون، فبالأولي كثيراً نعمة الله، والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين" [15]

- إن كان للخطية آثارها البعيدة المدى هكذا وهي خطية إنسان واحد، فكم بالأولى تكون النعمة، نعمة الله، التي هي نعمة الآب والابن أيضاً يكون لها فيض؟
- ربما معاقبة إنسان من أجل خطأ ارتكبه آخر يبدو غير مقبول، لكن ما هو أكثر قبولاً ومنطقياً أن يخلص إنسان بسبب آخر.

الرسالة إلى أهل رومية

"وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية، لأن الحكم من واحد للدينونة، وأما الهبة فمن جري خطايا كثيرة للتبرير" [16]

- للخطية قوتها إذ تجلب الموت والدينونة، وأما النعمة فلا تبرر خطية واحدة فحسب إنما الخطايا التي تبعتها أيضاً.
- ولئلا يُفهم من الكلمتين "كما"، "هكذا" تساوى البركات مع الشرور، ولئلا عند سماعك "آدم" تظن أن الخطية التي ارتكبها آدم هي وحدها التي تُغفر، لذلك يقول: من جري خطايا كثيرة للتبرير... فقد تحقق التبرير بعد ارتكاب خطايا بلا حصر بعد الخطية التي ارتكبت في الفردوس.
- حيث يوجد البرّ تتبعه بالضرورة الحياة بكل وسيلة، ويرافقه بركات بلا حصر، وذلك كما أنه حيث توجد الخطية يحدث الموت. البرّ هو أكثر من الحياة، وهو أصل الحياة.

الرسالة إلى أهل رومية

"لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح. فإذاً، كما بخطية واحدة صار الحكم الى جميع الناس للدينونة، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة" [17 - 18]

- إن كان بخطية واحد مات الكل فبالأولي نعمة الواحد لها سلطان أن تخلص، فالنعمة ليست فقط تنزع الخطايا وإنما تهب البرّ.
- فالسيد المسيح لم يقدم خيراً بقدر ما جلب آدم من أضرار، وإنما أكثر جداً بما لا يُقاس.
- لا وجه للمقارنة بين الضرر الذي أصابنا من الخطية مهما بلغ بالنسبة للخير الذي ننعم به خلال برّ الواحد، السيد المسيح، ونعمته.

الرسالة إلى أهل رومية

"لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً" [19]

- إن كنا قد ورثنا عن آدم عصيانه، إنما حملنا هذه الطبيعة فينا، لذا جاء السيد المسيح بنعمته يقدم لنا "طاعته" لنحياها، فنحمل طاعة المسيح فينا، لا كفضيلة خارجية وإنما كطبيعة تمس كياننا.
- هذه الطبيعة المتبررة الجديدة، طبيعة الطاعة للآب بابنه، تحمل انعكاسا على كل تصرفاتنا فنشتهي الطاعة لو أمكن للجميع.
- هذه الطبيعة الجديدة المتبررة بربنا يسوع المسيح تجعلنا نتمتع بالسلام والكمال والكرامة والمجد الأبدي، الأمور التي تفوق طبيعتنا القديمة الخاطئة.

الرسالة إلى أهل رومية

"وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية، ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً، حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" [20 - 21]

- الناموس جاء ليكشف المعصية ويدين العصاة.
- لكننا لا نخاف، لأن الناموس لم يُوضع لكي تزداد عقوبتنا، وإنما لكي نتقبل النعمة التي ازدادت جداً، إذ لم تقدم لنا إعفاءً من العقاب فحسب وإنما وهبتنا الحياة. صرنا أشبه بإنسان كان مريضاً فلم يُشف من مرضه فحسب، وإنما نال جمالاً وقوة وكرامة.
- وكما نشبه إنساناً جائعاً لم ينل غذاء ليقوته فحسب، وإنما تمتع بغنى عظيم وسلطان.
- ربما يتساءل البعض: كيف كثرت الخطية بالناموس؟ لأنه قدم وصايا كثيرة بلا حصر وقد عُصيت، فازداد العصيان.

الرسالة إلى أهل رومية

- كشف الناموس أيضاً أصل الموت والحياة، إذ أظهر أن الخطية تسلحت بالموت لتبيد البرّ، لكن النعمة حطمت سلاح الموت، ووهبتنا البرّ على مستوى الحياة الأبدية الخالدة.
- جاء الناموس لكي تكثر المعصية، لأن المنع جعل الشهوة تزداد، وصيرها عنيفة:

"فماذا نقول هل الناموس خطية؟ حاشا! بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس. فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته" (رومية 7: 7)

- وهكذا صارت المعصية التي لم تكن بدون الناموس، رغم وجود الخطية (حتى قبل الناموس):

"إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعدٍ" (رومية 4: 15)

الرسالة إلى أهل رومية

- وهكذا زادت قوة الخطية، وذلك بالناموس، مع عدم مساعدة النعمة، والمنع من الخطية، إذ يقول:

"أما شوكة الموت فهي الخطية وقوة الخطية هي الناموس"

(1 كورنثوس 15: 56)

- إذن لا عجب إن كان ضعف الإنسان الذي يجهل بر الله، يجعل من الناموس الصالح ما يزيد من الشر، مع أنه قد عهد إليه به لينفذ الناموس.

"لانهم اذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون ان يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله. لان غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن"

(رومية 10: 3 - 4)

- الناموس كمعلمٍ يقود الذين صاروا خطاة إلى النعمة، طالبين "الطبيب الحقيقي" لأن بهم جراحات خطيرة، فيعطيهم الرب عذوبة في عمل الخير عوض لذة الشهوة المهلكة، حتى تكون لهم بالعفة بهجة أعظم.

"لا تستكبر بل خف" (رومية 11: 20)